

إنسانية الأمير

في دمشق وقعت حادثة بين المسلمين والمسيحيين، تصدى لها الأمير بحنكة العظماء وسجل موقفا تاريخيا لا يصدر إلا من عظيم.



أثري لغتي

ندالة: حقارة
الحثالة: الأراذل

يفتر: يضعف
الشكالي: اللواتي
فقدن أولادهم

القناصل: جمع.
مفرده قنصل؛ النائب
عن دولة في دولة
أخرى

الرهبان: رجال
الدين النصارى

جَمَعَ الأميرُ العُلَمَاءَ والوُجُهَاءَ والأَعْيَانَ مِنْ أَهَالِي دِمَشْقَ وَجَمَاعَةَ الْمُهَاجِرِينَ الْمَغَارِبَةَ وَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا : « إِنَّ الأَدْيَانَ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الدِّينُ الإِسْلَامِيُّ أَجَلُّ وَأَقْدَسُ مِنْ أَنْ تَكُونَ خِنْجَرَ جِهَالَةٍ أَوْ مَعُولَ طَيْشٍ أَوْ صَرَخَاتٍ نَذَالَةٍ تُدَوِّي بِهَا أَفْوَاهُ الحُثَالَةِ مِنَ الْقَوْمِ . أَحْذَرُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لِشَيْطَانِ الجَهْلِ فِيكُمْ نَصِيبًا ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي نُفُوسِكُمْ سَبِيلًا » .

وَمَعَ تَحْذِيرِ الأميرِ انْطَلَقَتْ شَرَارَةُ الْفِتْنَةِ بِدِمَشْقَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ 20 ذِي الْحِجَّةِ 1276 هـ الموافق لـ 9 جويلية 1860 وَبَقِيَ الأميرُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا مُتَوَالِيَةً لَمْ يَفُتْرَ فِيهَا لَحْظَةً عَنْ نُصْرَةِ الْمَظْلُومِينَ وَإِنْقَادِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى تَطْيِيبِ الْجَرْحَى ، وَقَامَ عَلَى تَعْزِيَةِ الشَّكَالِي وَالْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى . وَكَانَ يَقْضِي أَكْثَرَ اللَّيَالِي سَاهِرًا وَبُنْدُقِيَّتُهُ فِي يَدِهِ حَرِصًا عَلَى مَنْ فِي حِمَاهُ ، فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ النُّعَاسُ أَسْنَدَ رَأْسَهُ إِلَى فُوهَتِهَا قَلِيلًا وَغَفَا .

وَبَلَغَ عَدَدُ الَّذِينَ أَنْقَذَهُمُ الأميرُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْعَذَابِ مِمَّنِ التَّجَاوَأَ إِلَى دَارِهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفٍ شَخْصٍ مِنَ الْقَنَاصِلِ وَأَعْيَانِ النَّصَارَى وَالرُّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ .

وَكَتَبَ الأميرُ بَعْدَ الْفِتْنَةِ مُعَبَّرًا عَنْ سَبَبِ مَوْقِفِهِ النَّبِيلِ الَّذِي فَسَّرَهُ النَّاسُ تَفْسِيرَاتٍ مُخْتَلِفَةً يُخَاطَبُ مَلِكَةً بَرِيطَانِيَا : « إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ إِلَّا مَا تَوَجَّبُهُ عَلَيَّ فَرَائِضُ الدِّينِ وَلَوَازِمُ الْإِنْسَانِيَّةِ » .

(نزار أباطة، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ص 16-18)

